

دراسات في القانون الدولي والعلوم السياسية

الدراسة الخامسة: العمليات النفسية أهميتها في تحقيق أهداف الكيان الصهيوني وطرق مواجهتها

د. محمد أحمد دعبول^(١)

عبر التاريخ، كان جميع العاملين في الحروب وتحليلها من عسكريين وقادة وملوك وحتى فلاسفة يهتمون بالمستوى المالي والعسكري للحرب، ولكن ذلك لم يشغلهم عن الإهتمام بالمستوى النفسي ما كان يتداول به من خلال مصطلح "الروح المعنوية"^(٢). ومن أبرز الأقوال كان حكمة سون تزو (Sun Tzu)، الفيلسوف والجنرال الصيني المشهور له عبر التاريخ بعبقريته العسكرية، حيث يقول: "إن في مائة انتصار في مائة معركة ليس كذلك وليس ذروة المهارة، قهر العدو بدون القتال هو ذروة المهارة"^(٣).

ففي ظل ما يشهده العالم من تغيرات سياسية واقتصادية وعسكرية وإعادة توزيع النفوذ والقوة، ويعد توارد مصطلحات الحرب العالمية الثالثة والحرب الباردة. يتجلى مفهوم العمليات النفسية، ويتصدر حالة البحث والدراسات لما له من أهمية. لغاية الآن ما زال مفهوم وتعريف العمليات النفسية يتراوح بين الغموض والاختلاف بين الباحثين وقد أوضح د. رفيق السكري رأيه في سبب هذا الغموض أنه يعود لربط الباحثين بين العمليات النفسية والعمليات العسكرية. فالعمليات النفسية، أو PSYOP، هي شكل من أشكال النشاط السياسي والعسكري الذي يتم فهمه وتعريفه بعدد من الطرق المختلفة^(٤).

تعرف العمليات النفسية "PSYOP" بأنها مخطط لاستخدام المعلومات المتوفرة للتأثير على المواقف والسلوك البشري بهدف خلق السلوكيات والعواطف التي تدعم أهداف الدولة^(٥). وهذه العمليات تُستخدم في

^(١) باحث متخصص بالدراسات الاجتماعية والنفسية.

^(٢) Vol. 9, No 1 - Revue militaire canadienne

^(٣) Général Tao Hanzhang, Sun Tzu's Art of War: The OPÉRATIONS MILITAIRES Modern Chinese Interpretation, New York: Sterling Publishing, 1987, p. 13-15.

^(٤) Federal Research Division Library of Congress Washington, AN OVERVIEW OF PSYCHOLOGICAL OPERATIONS (PSYOP), DC 20540 October, 1989 Analyst: Glenn Curtis

^(٥) Psychological operations (PSYOPs): A conceptual overview, Pages 177-192

السِّلم والحرب، وتستههدف التأثير على العواطف والدوافع وتفكير وسلوك الجمهور المُستهدف في دعم الأهداف والغايات^(١).

فالعلاقات النفسية بتعريفها الاصطلاحي هي خطة تستخدم من قبل الدول بوسائل وطرق نفسية لشن حرب أو للدفاع عن الدولة، وتستخدم للتأثير على عواطف وطرق تفكير الشعوب، وليست هذه العمليات بالأمر الحديث، فأول من استخدم الحرب النفسية الكولونيل "بلاو"^(٢)، ويعتبر أول من وضع أسسها وبنائها بشكل صريح وكان ذلك عام ١٩٣٥، بينما كان أول ظهور لمصطلح الحرب النفسية بشكل صريح على يد لينبارجر الأميركي الجنسية سنة ١٩٥٤ الذي أطلق تعريفه التالي: "إن الحرب النفسية هي الاستخدام المنظم للدعاية والتدابير الإعلامية المقاربة بهدف التأثير في آراء وعواطف فئات الأجانب في البلدان المعادية من أجل تحقيق أهداف السياسة القومية أو الأهداف العسكرية"^(٣).

في بحثنا هذا، سنتناول بشكل محدد العمليات النفسية التي استخدمتها إسرائيل لتحقيق أهدافها المختلفة، ويعتبر الكيان الإسرائيلي متمرساً في استخدامها فقد بدأ بها حتى قبل تأسيسه ككيان عبر ضخ الأساطير المتعلقة بفكرة "أرض الميعاد" وحققهم التاريخي في فلسطين. إضافة إلى أسطورة العرق اليهودي المتميز التي ساهمت بتجيش مشاعر اليهود وحلفائهم وذلك بتعبير لينين^(٤): "إننا شعب خاص، شعب الله، وشعب التوراة"، مستخدماً جميع الأبعاد النفسية والإيمانية التي قد تؤثر بالمستمع، وأيضاً استخدام فكرة المظلومية والهولوكوست المزعوم الذي تعرّض له الشعب اليهودي في أوروبا، كُلاً ذلك في سبيل التجيش النفسي لدى اليهود وتثبيت أفكارهم المُلققة.

هذا كله قبل تشكيل الكيان الصهيوني، وقد استمرت إسرائيل بابتداع العمليات النفسية عند تأسيس ما يعرف بالكيان الإسرائيلي، فظهرت مقولة "فلسطين صحراء بلا شعب" ولكن لا يمكن أن ينكر الباحث والقارئ التغيير الواضح بسياسة العمليات النفسية التي تستخدمها إسرائيل منذ عام ١٩٧٣ التي بدأت تلعب على وتيرة التهريب من التزايد الإسلامي، وخطورة الثراء العربي حتى أصبح لها دولٌ كبرى مؤيدة لقضاياها. وهي تحاول استثمار هذا التأيد للاستحواذ على الثروات العربية وختمتها باتفاقية الغاز مع مصر الذي جعل منها قوة إضافية. واليوم تصب كل الجبهات النفسية على التأثير على معنويات وزلزلة مبادئ الشعوب العربية المناهضة لها عبر استخدام عوامل نفسية اقتصادية فأثارت القلق بقضية الغاز، وأوهمت الشعوب بضرورة التطبيع، وبنيت كل تقنياتها الإعلامية والنفسية بهدف ضرب ما يُعرف بمحاور الممانعة لها في الدول العربية وخاصة الشعوب

(1) Bret M. Bemis, Cooking up Psychological Operations: The Ingredients of Successful PSYOP, 2011

(٢) الكولونيل "بلاو" مؤلف ألماني اشغل منصب رئيس المعمل النفسي في وزارة الدفاع

(٣) بول لينبارجر، باحث عمل في مكتب المعلومات الحربية الأميركية خلال الحرب العالمية الثانية وشارك في نشر الدعاية الأميركية بين المدنيين والعسكريين في مسارح العمليات العسكرية في أوروبا والباسيفيك وكان مستشار للحرب النفسية في وزارة الدفاع الأميركية وأستاذاً للدراسات الدولية في جامعة واشنطن

(٤) عضو كينيست اسرئيلي عن أحد الأحزاب الإسرائيلية الذي عرف وقتها باجودات

العربية التي ناضلت وما زالت تُناضل ضدَّ الكيان الصهيوني بالأرواح والأفكار والثقافة، إلى جانب بعض الأحزاب والمنظمات العربية والفلسطينية^(١).

إذاً بين الماضي والحاضر، تستمر بشكل واضح الممارسات النفسية التي تؤثر بشكل مباشر على ذهنية المستهدف ما يجعل الحرب العسكرية هي أقل تأثيراً منها. في بحثنا هذا، سنتناول عنوان: "العمليات النفسية وأهميتها في تحقيق أهداف الكيان الصهيوني وطرق مواجهتها".

◆ إشكالية البحث:

لم تشهد العمليات النفسية للكيان الصهيوني بتطوراتها التاريخية تغيراً ونقلاً وتتوَعاً كما السنوات الأخيرة، حيث تسعى إسرائيل بكافة أدواتها الإعلامية والنفسية للعمل على جبهات سياسية واقتصادية وعسكرية مهمة لتحقيق أهدافها الاستراتيجية الجديدة. إلا أنه بالمقلب الآخر تطورت الذهنية لدى الشعوب المُستهدفة من قبلها فأصبحوا يقومون أيضاً بالعمليات النفسية المُضادة. ما يجعل اليوم الطرفين في حالة قصوى باستخدام العمليات النفسية والحروب الباردة. ومن هنا تبرز لدينا التساؤلات التالية:

- ١- هل نجحت إسرائيل من خلال ترويجها لأساطيرها بتغيير كبير في ذهنية الخصم؟
- ٢- هل حققت إسرائيل مُكتسباتٍ حقيقية عبر التاريخ باستخدام العمليات النفسية؟
- ٣- ما هي الوسائل النفسية التي تبثها إسرائيل في مخطتها الجديد في المنطقة؟
- ٤- هل يعتبر التطبيع أحد إنجازات إسرائيل في حربها النفسية؟
- ٥- هل يعتبر التطبيع مكسباً إسرائيلياً أم عربياً أم للطرفين معاً؟
- ٦- هل أثرت العمليات النفسية الإسرائيلية على تخفيف أو إزالة التعلق العربي التاريخي بعداها؟
- ٧- هل نجح العرب ومناهضو الكيان الإسرائيلي عالمياً بالقيام بعمليات نفسية مجابهة لعملياتها؟
- ٨- ما هي الأهداف والوسائل النفسية التي يعمل العرب على تحقيقها من خلال العمليات النفسية؟

◆ أهداف البحث:

تهدف هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على أهمية العمليات النفسية واستخداماتها من قبل الكيان الصهيوني ونجاحه في تحقيق أهدافه الاستراتيجية السابقة واللاحقة. بالإضافة إلى إبراز أهمية وضع خطط واستراتيجيات مُقابلة كي يتسنى للمحيط العربي الوعي لما يقوم به الكيان الصهيوني في سبيل تحقيق أهدافه، خاصةً أنه أصبح استخدام العمليات النفسية رائجاً ومهماً أكثر من استخدام العمليات العسكرية. من هنا فإن أهداف البحث هي إلقاء الضوء على:

١. العمليات النفسية مظاهرها وأدواتها.

^(١) الممولة بعضها من إيران

٢. مدى استخدام اسرائيل للعمليات النفسية سابقاً.
٣. الآليات التي يستخدم فيها الكيان الإسرائيلي العمليات النفسية لتحقيق أهدافه عبر عدة محاور.
٤. الأدوات التي يستخدمها محيط الكيان لمجابهة العمليات النفسية الإسرائيلية.

♦ أهمية البحث:

تكمن أهميته هذا البحث كورقة علمية تقدم للمشاركة في مؤتمر عربي متنوع يضاف إلى المراجع التي تعتبر مهمة في مجال العمليات النفسية. بالإضافة إلى إظهار الأهداف التي يسعى الكيان الصهيوني لتحقيقها باستخدام العمليات النفسية المضادة. كما ويلقي الضوء على أهمية إيجاد الخطط لمجابهة هذه العمليات. علماً أن استخدام العمليات النفسية في المحيط العربي غير واضح الرؤية ويقتصر على بعض الأساليب الاعلامية. إذ أن هذا القصور في استخدام العمليات النفسية ظهر واضحاً خلال إعداد هذا البحث بإنعدام المراجع البحثية في اللغة العربية في هذا المجال والتي تعتبر قليلة. فعند إعداد هذا البحث وجدنا أن مصطلح العمليات النفسية كان نادر التداول في المراجع العربية واضطررنا للرجوع لمراجع أجنبية.

♦ منهجية البحث

وقد اعتمدنا في هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي، الذي يقوم على أسلوب التحليل المركز على معلومات كافية ودقيقة من خلال الدراسات السابقة. هو أسلوب من أساليب التحليل المرتكز على معلومات دقيقة ووجود معرفة سابقة عن ظاهرة ما أو موضوع محدد عبر فترة زمنية محددة، وذلك من أجل الحصول على نتائج عملية بطريقة موضوعية. وهو محاولة للوصول إلى المعرفة الدقيقة وبهدف تحقيق فهم أفضل وأدق. كما استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي والذي سمح له في سبر أعماق الفكرة المزمع بحثها والتعمق في تفاصيلها، وخاصةً أن موضوع البحث يستلزم كمّاً كبيراً ودقيقاً من النّظر والتّحصيل في مفردات الموضوع، وتقنيده جوانبه.

○ أولاً: مفهوم العمليات النفسية

• تعريف العمليات النفسية

إنّ المفهوم المستخدم للعمليات النفسية هو للدلالة على مهاجمة العدو بأساليب نفسية لا تستطيع فعلها الأسلحة النارية والأسلحة الحادة. أما، ويليام دوجيرتي، فيعرف العمليات النفسية فيعطيهها مجالاً أوسع: "العمليات النفسية PSYOP هي التواصل وبالتالي فإنها تغطي مجال العمل البشري بأكمله".⁽¹⁾

(1) American Institutes for Research in the Behavioral Sciences, The Art and Science of Psychological Operations: Case Studies of Military Applications, vol. 1. (Washington: Department of the Army, 1976), p. 17

أما الكولونيل بنجامين ف. فندلي الإبن^(١)، فكان له نظرة مختلفة محللاً الكثير من أوجه التشابه بين تسويق الأعمال المدنية والعسكرية معتبراً أن PSYOP تماماً مثل التسويق والترويج في الأعمال التجارية وتخصيص الموارد اللازمة مستخدمين استراتيجيات وأساليب مقنعة لتحقيق النجاح والتأثير على التصورات والدوافع والمواقف والآراء لتحقيق النتائج المثلى.^(٢)

أما تعريف ريتشي^(٣): "أن الحرب النفسية تعني استخدام المخطط له للدعاية ولأعمال أخرى تهدف للتأثير على آراء، وعواطف، واتجاهات، وسلوك العدو وحتى الطرف المحايد. ويستخدم هذا المصطلح أيضاً للإشارة إلى أي فعل يتم ممارسته بشكل أساسي عن طريق الأساليب النفسية بغرض إثارة رد فعل نفسي مخطط له لدى أشخاص آخرين".^(٤)

• نشأتها وتطورها

أولى أمراء الحرب وقادتها أهمية كبيرة لعامل إضعاف الروح المعنوية للخصم منذ عصور ما قبل التاريخ. حيث استخدمت القوات الفارسية في معركة بيلوسيوم (٥٢٥ قبل الميلاد) ضد المصريين القطط والحيوانات كتنكيك نفسي استناداً إلى المعتقدات الدينية لمصر القديمة.

واعتبرت عملية إسترضاء الأتباع أحد جوانب الحرب النفسية. حيث نجح الإسكندر الأكبر في غزو أجزاء كبيرة من أوروبا والشرق الأوسط والاحتفاظ بمكاسبه الإقليمية من خلال إشراك النخب المحلية في اليونان. حيث أقدم على ترك بعض رجاله في المدن التي احتلها لتقديم الثقافة اليونانية وقمع الآراء التي تخالفه. ثم أقدم على دفع مهر لجنوده للزواج من سكان تلك المدن لتشجيع الاستيعاب.^(٥)

ولا بد من ذكر حاكم الإمبراطورية المغولية جنكيز خان حيث أقدم، في القرن الثالث عشر الميلادي، على استخدام تقنيات بهدف التغلب على إرادة العدو والاتفاق معهم قبل مواجهة غضبه. حيث استسلم الجنرالات المغول لجنكيز خان وهددوا القرى الواقعة تحت حكمهم والتي ترفض الاستسلام بالتدمير الكامل وبالفعل نفذوا تهديداتهم وذبحوا الناجين. وسرعان ما انتشرت الأخبار في القرى المجاورة وأحدثت نوعاً من الفوضى وانعدام الأمن والاستقرار ومنعت أي مجال للمقاومة في المستقبل^(٦). أيضاً تجلت العمليات النفسية خلال الحقبة الإسلامية، ومن المواقف الدالة هي: أمر رسول ﷺ بتجهيز سرية إلى قبائل غطفان دون تسييرها، وأرسل من

(١) كان أحد مؤسسي سيجما تشي الأخوة وضابط في جيش الاتحاد أثناء الحرب الأهلية الأمريكية

(٢) والتر لورانس توبي. (1900) حجم الذكرى الماسية. جامعة ميامي (أكسفورد، أوهايو). ص. ٧.

(٣) لقاسم يوسف، أثر الحرب النفسية السرائيلية على الذات الفلسطينية: انتفاضة القصى نموذجاً، ٢٠٠٧

(٤) Szunyogh, Béla, Guerre psychologique; une introduction à la propagande idéologique et aux techniques de la guerre psychologique. États-Unis: William-Frederick Press. (1955). p. 13. Récupéré le 2015-02-11.

(٥) "Forces.gc.ca". Journal.forces.gc.ca. Récupéré le 18-05-2011.

(٦) David Nicolle, Les seigneurs de guerre mongols: Gengis Khan, Kublai Khan, Hulegu, Tamerlan (2004) p.

اختلط بهم ليوهمهم بالقوات الكبيرة المتوجهة إليهم، ثم أمر بتوجه السرية بقيادة بشير بن سعد الأنصاري، وفور سماع بنو غطفان بذلك فزوا هاربيين بقيادة عيينة بن حصن، وقد استوقفه أثناء فراره حليفه الحارث بن عوف المري، فأجاب عيينة وهو يهرب: "خلفي أصحاب محمد". قال الحارث: "تحتيت عن سنن خيل محمد حتى أراهم ولا يروني؛ فأقمت من حين زالت الشمس إلى الليل ما أرى أحدًا، وما طلبوا إلا الرعب الذي دخله"، والأمتلة كثيرة.^(١)

ومع بداية الحرب العالمية الأولى، نشر المتحاربون، ولا سيما البريطانيون والألمان، الدعاية محليًا وعلى الجبهة الغربية. وقد تمكن البريطانيون من استحواد الرأي العام العالمي، بفضل امتلاكهم لأحد أهم أنظمة المعلومات في العالم وخبرتهم في الاتصالات الدولية، وتحكمهم في الكثير من أنظمة الكابلات البحرية المستخدمة آنذاك^(٢). في أغسطس ١٩١٤، عين تشارلز ماستر^(٣) مان لرئاسة وكالة دعاية في ويلينجتون هاوس حيث تم تجنيد مجموعة مميزة من المواهب الأدبية لأداء المهمة، بما في ذلك آرثر كونان دويل، فورد مادوكس فورد، جي كي تشيسترتون، توماس هاردي، روديارد كيبلينج، وإتش جي ويلز. ونشر آنذاك أكثر من ١١٦٠ كتيبًا. ولجأت وكالة المخابرات المركزية إلى استخدام جنود الكونترا بهدف زعزعة استقرار الحكومة الساندينية في نيكاراغوا^(٤). حيث استخدمت تقنيات الحرب النفسية في حريها ضد البنميين عبر بث برامج تلفزيونية غير مرخصة. ولجأت حكومة الولايات المتحدة إلى بث دعاية ضد الحكومة الكوبية عبر تلفزيون مارتي. ولكن، الحكومة الكوبية قامت بتشويش إشارة التلفزيون.

في حرب العراق، استخدمت الولايات المتحدة حملة الصدمة والرعب بهدف التشويه النفسي وكسر إرادة الجيش العراقي للقتال. أما في الفضاء الإلكتروني، ساهمت وسائل التواصل الاجتماعي بسرعة انتقال المعلومات المضللة. حيث عثر المحللون على صور مزيفة أو مضللة انتشرت عبر وسائل التواصل الاجتماعي خلال الحرب الأهلية السورية والتدخل العسكري الروسي في أوكرانيا عام ٢٠١٤، وربما تم ذلك بمشاركة الدولة^(٥).

○ ثانيا: العمليات النفسية المستخدمة من الكيان الإسرائيلي

• الإعلام والبروجندا

(١) <https://islamstory.com/index.php/ar/artical/491>

(٢) PSYOP ALLIÉE DE LA PREMIÈRE GUERRE MONDIALE". Récupéré le 17/12/2012.

(٣) سياسي وكاتب ومفكر بريطاني خلال الحرب العالمية الأولى، لعب دورًا مركزيًا في وكالة الدعاية الحكومية الرئيسية

(٤) <https://www.greelane.com/ar/%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D9%88%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%86%D8%B3%D8%A7%D9%86%D9%8A%D8%A9/%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%AE-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%AB%D9%82%D8%A7%D9%81%D8%A9/sandinistas-in-nicaragua-477781>

(٥) «Lutter contre la désinformation: l'infoguerre de la Russie en Ukraine». Université de Washington. 2017-10-25. Récupéré le 2017-10-25.

منذ ولادة الصهيونية الاستعمارية لوحظ وجود ارتباط وثيق بين الصهيونية والدعاية والتعامل العلمي^(١) لدرجة أنّ هذه الدعاية أصبحت تُمثّل الوجه الحرّ لهذه الحركة وتعمل على فرض نفسها على العالم من خلال اعتماد أسلوب الإقناع بُغية الاعتراف بوجود مجتمع يهودي يمتلك مكونات المجتمع الأساسية ويسعى إلى إيجاد مكان لاحتضانه. وقد برز اهتمام الصهاينة بالجانب الدعائي من خلال عدة نقاط^(٢):

١- **التخصص:** للتخصص أهمية كبرى في ما خص الدعاية الصهيونية، لا سيما أن الحركة الصهيونية حرصت على التنوع في مجالات الدعاية الخاصة بها مما يجعل توفر الخبرات والمؤهلات الشخصية أمراً لازماً ومُلِحاً من الضروري استحواذ المختصين عليها، كُلاً حسب مجاله.

٢- **التوقيت:** " التخطيط المناسب في الوقت المناسب "

لكي يكون المشروع الدعائي ناجحاً لا بد أن تبدأ هذه الدعاية في الوقت المناسب بعد تخطيط دقيق ومدروس ضمن جو مناسب يُسلطُ الضوء فيه على عوامل الإقناع والتصديق ثم القبول.

٣- **التكامل:** عندما تمارس الدعاية الصهيونية عملها، لا بد أن يكون هذا العمل متكاملًا ومنسجمًا مع التخطيط الدعائي وذلك بمنطقتين وعلى اتجاهين متعاكسين:

أ- منطوق إيجابي يهدف ويسعى إلى تشريع الصهيونية في فلسطين وتأكيد وجودها.

ب- منطوق سلبي يهدف بشكل أساسي إلى تهشيم الطابع القومي العربي وتشويه صورته.

٤- **المركزية:** يضع الخبراء المختصون الخطط الشاملة ويرسمونها ضمن مراحل دقيقة ومدروسة ووفق استراتيجيات عامة متناسبة مع العمل الدعائي وسياسة الدولة وذلك من خلال جهاز ضخم وفعال، وكل ذلك يكون انطلاقاً من السياسة الخارجية التي ترتبط بها الدعاية الصهيونية وعلى الرغم من تمتعها بنوع من الاستقلال الذاتي.

٥- **التركيز:** على الهدف وتسلية الضوء عليه هو نقطة الانطلاق والمحور، وهنا نلاحظ كيف يعتمد التخطيط الصهيوني الدعائي على التكرار كركيزة تضمن النجاح.

٦- **الهجوم:** تتسم الدعاية الصهيونية بالطابع المهاجم والمستفز والمحرض ويُلاحظ أن هذه المظاهر الثلاث هي ركائز أساسية لا غنى عنها أبداً في مشاريعها التخطيطية.

٧- **المرونة:** لكل ظرف ومرحلة موقف مختلف وتخطيط مغاير، فالمرونة واجبة ولازمة، إذ يختلف الأسلوب في التعامل معها وكذلك تختلف المرتكزات والأهداف المنشودة.

رغم كل الحداثة المتوفرة في الوسائل العلمية المستخدمة في الحرب النفسية، ورغم تنوعها، فلكل وسيلة منها مميزات وخصائص ونقاط ضعف يجب أن تُؤخذ بعين الاعتبار عند التخطيط لأي حرب نفسية، ونجاح

(١) روحانا نديم، التحول السياسي للفلسطينيين في إسرائيل: من الإذعان إلى التحدي، المجلد ١٨ رقم ٣، ربيع ١٩٨٩

(٢) أحمد شريف بسام، وردة حمدي، الأطر التاريخية والادبيولوجية للدعاية الصهيونية، الملحة الجزائرية للعلوم الاجتماعية والانسانية، المجلد

٠٩ / العدد ٠١ /، ٢٠٢١ ص ٣٠٩-٣٣٨، بتصرف

هذه الحرب يعتمد على الاختيار المناسب للوسيلة التي تهدف بشكل أساسي إلى التأثير على الهدف وإيصال رسالة علمية ونفسية إليه تُلزمه تغيير سلوكه بما يتناسب مع القائم على التخطيط لهذه الحرب. في الحرب النفسية تلزم القوة المُمنهجة ولا تكون هذه القوة بدون العلم المتزامن بالتخصص والخبرة والمؤهلات الكافية الواجب توفرها عند الخبراء المختصين بالدعاية والتوجه العلمي والمتمتعين بالدراية الكافية في إدارة الحروب النفسية واستخدام الوسائل المُتاحة والمطلوبة من مواد مرئية ومسموعة ومقروءة.

• التكنولوجيا

انطلاقاً من مقولة أن "ضرب الوعي والروح المعنوية وتهشيمها هو البداية التي تسبق الضربة العسكرية ضد العدو وتُفسح لها الطريق"، بدأ الكيان الصهيوني حربه بقوة وشراسة عبر نشاطات متنوعة على شبكات التواصل الاجتماعي الناطقة باللغة العربية لتستهدف بذلك مختلف الفئات المجتمعية في الدول المعادية، وقد اتى سيبوني على أداء الجيش الاسرائيلي في هذا المجال وعلى دوره وكيفية إدارته لهذه المعركة النفسية التي تكاملت وترافقت مع الحرب الميدانية لتُحبط عزيمة العدو وتُشتت تفكيره وتُضعف قواه.

ولعل أكثر ما يُظهر اهتمام الصهاينة الكبير بالقطاع التكنولوجي والمعلوماتي، هو تخصيص الحكومة الصهيونية مبلغاً سنوياً يُقدّر بـ ٤٠٠ مليون دولار أميركي وذلك ابتداءً من منتصف عقد الثمانينات للمساهمة بشكل بنّاء وجذري في ولادة شركات "start Tech High"⁽¹⁾ التابعة للقطاع التكنولوجي، إضافةً إلى الدعم المادي لهذه البرامج التي عُرفت بـ "الحاضنات التكنولوجية" "Incubators Technological" والتي تهدف بشكل أساسي إلى مواكبة انطلاق هذه الشركات وتكون المُمول والداعم الأبرز لجميع نشاطاتها طوال عامين مُتتاليين.

وبالرجوع لمقارنة بسيطة خاصة بميزانية البحث العلمي عام ١٩٨٤، بين الحكومة الاسرائيلية ودول متطورة أخرى مثل البرتغال وسويسرا وإيرلندا، نتفاجاً بأن الإنفاق القومي والعام على التطوير والبحث في اسرائيل، يعادل ثلاثة أضعاف ميزانية البحث العلمي في تلك الدول، كما يفوق ويتجاوز معدل الإنفاق المدني على البحث والتطوير لأهم الدول الصناعية المتقدمة الأخرى كالسويد ٥،٣٪، واليابان ٣٪، وفنلندا ١،٣٪⁽²⁾. وقد وردت هذه المعلومات في تقرير أصدره مؤخراً المكتب المركزي للإحصاء الاسرائيلي والذي أورد أنّ نسبة الإنفاق القومي على البحث والتطوير، عام ٢٠٠٠، بلغت ٢،٤٪ من الناتج المحلي الإجمالي البالغ ١٢٠

(1) United States Joint Chiefs of Staff. Dictionary of Military and Associated Terms (Washington: GPO, 1984), p. 290.

(2) United States Joint Chiefs of Staff. Dictionary of Military and Associated Terms (Washington: GPO, 1984), p. 293.

دولار أميركي، أما الإنفاق العام فقد بلغ نحو ٢٠ مليار شيكل (٥ مليارات دولار أميركي) بمعدل نمو سنوي يُقدَّر بـ ١٦٪ مقارنةً بالعام المُنصرم^(١).

ولزيادة القطاع التكنولوجي والعلمي قوةً ومثانةً وتأثيراً، بادرت إسرائيل إلى التركيز على ثلاث نقاط أساسية وهي التمويل والاتفاقيات الحكومية والمؤتمرات الدولية. وكان بروز الاهتمام بهذه الخطوات جلياً وواضحاً من خلال تركيزها على علاقاتها الدولية في المجالين التكنولوجي والعلمي.

ولكي يتسنى لها تبادل الخبرات والمعلومات التكنولوجية المحلية، عمدت إسرائيل إلى عقد المؤتمرات والندوات الدولية ثم شرعت بتمويل أبحاثها عبر صناديق أبحاث خارجية^(٢). مما يفسر وجود نحو ٣٠٠ صندوق بحث ممول من عشرات المؤسسات الأجنبية التي تكفل برامجها البحثية والتطويرية وتدعم حوالي ٢٠٠٠ مشروع بحثي. وإضافة إلى كل ما سبق، قامت إسرائيل بتوقيع اتفاقيات حكومية تشتمل ٧٠ مليون دولار أميركي^(٣).

كل ما سبق ذكره من خطوات داعمة للتكنولوجيا الإسرائيلية جعل من هذه القوة وحشاً ضارياً قوياً في معارك الوعي التي يشنها والتي ذكرها غال فينكل (خبير إسرائيلي في حروب السايبر وضابط سابق في سلاح المظليين وباحث في مجال العلوم الأمنية) في الدراسة التي شارك فيها قائلاً أنّ هذه الحرب عند إسرائيل تُقسم إلى ثلاث فئات: تبدأ هذه المعركة بشن حرب مفاجئة على العدو ومُدهمة ومباغته يكون التحضير لها سرياً، ثم تقوم إسرائيل بنشر الدعايات الكاذبة والمفبركة لإضعاف معنويات العدو وتنتهي بالحرب المباشرة على وعيه وإدراكه عبر الإعلانات المدسوسة ونشر الإشاعات والرسائل النصية التي تُضلل العدو وتُحيد عن هدفه المنشود.

تسبق جميع هذه الخطوات مجموعة بحوث أمنية استخباراتية اجتماعية حول جماهير العدو وتوفر للحركة الصهيونية المعلومات الكافية التي تضمن عدم تعرضها لأي خطر مباغت في المستقبل، كما يقول فينكل، وتقدم كذلك معلومات تساعد المتخصصين والخبراء في علم النفس وتحليل ثقافة الجماهير وتركيباتها النفسية، فتكون الحملات ضد العدو ناجحة ومؤثرة بفعالية كبرى على فئة كبيرة من المجتمع. وبذلك تتكامل معارك الوعي التي تديرها إسرائيل عبر ثلاث مراحل: قبل الحرب وخلالها وبعد انتهائها، وتتمركز نقاط القوة الحربية الأساسية للكيان الصهيوني ونجاحه في هذه المراحل الثلاث.

• الأساطير والشائعات

(١) نفس المرجع السابق.

(٢) المخ زهير، النشاط العلمي والتكنولوجي في إسرائيل: ملامح أولية، مجلة الدراسات الفلسطينية، المجلد ١٣، العدد ٥٠، ربيع ٢٠٠٢، ص ٦٣.

(٣) طينسكي ليور، حياية البنى التحتية الحساسة من التهديد السبراني، تل أبيب، معهد دراسات الأمن القومي، ١٥، تسفا فاستراتيجية، المجلد ٣، العدد ٢.

البورت وليوبوستمان يعرفان الشائعة بأنها " كل قضية أو عبارة مقدمة للتصديق تتناقل من شخص إلى شخص دون أن تكون لها معايير أكيدة للصدق". ارتكزت الحرب النفسية الاسرائيلية حتى قبل نشأة الكيان على عدة أساطير أتبعتها بشائعات أهمها^(١):

١- الشعب المختار والجنس اليهودي المتميز:

مع بدايات القرن العشرين ظهر اتجاه وسط علماء الأجناس يزعم أن هناك عرقاً يهودياً خاصاً، وكان هذا الاتجاه يسعى للوصول إلى مواقف مُعادية للسامية. إلا أن هذا الاتجاه شهد اضمحلالاً في النصف الثاني من القرن العشرين بعد هزيمة الفاشية والنازية وسقوط نظرية الأجناس النقية، إلا أن هذه النزعة قد عاودت الظهور مع العنصرية الصهيونية حيثُ مثَّلت نمطاً معكوساً من العنصرية، كنظرية تهدف إلى البرهنة على تفوق العرق اليهودي، وقد تبنَّى الفكرُ الصهيوني هذه النظرية كردِّ فعلٍ على نزعة معاداة السامية، ثم بعد ذلك كفكرة نظرية تبرّر الاستعمار الاستيطاني لِفلسطين، ليُصبح الصَّهائنةُ (الشعب المختار) من الله، جنساً مختاراً من الطبيعة، ينبغي أن يُحمى من أي إفسادٍ أو تلوينٍ قد تسببه العناصر الأجنبية الدخيلةُ عليه...^(٢)

٢- أرض الميعاد:

النصريح الأقوى عن هذه الأسطورة كان عام ١٩٦٩ ل "نيوزويك الأميركية" Newsweek عبر ليفي أشكول الذي عبر عن أنهم جعلوا الصحراء تزدهر وتتمو ومأهولة بالسكان وحينها أراد الفلسطينيون أخذها... وبالرغم من أن جميع الكتب التاريخية والدراسات تؤكد أن فلسطين لم تكن أبداً صحراء بل كان شعبها يتميز بالزراعة وتصدير الحمضيات حتى قبل الحرب العالمية الأولى.^(٣)

• الضغط عبر أدوات سياسية واقتصادية

١- الغاز والحرب النفسية الإسرائيلية على العرب

في أعقاب توقيع إسرائيل عقداً ضخماً للغاز مع مصر مدته ١٠ سنوات، أعلن تجمع شركات أمريكي إسرائيلي (الذي يُشرف على تطوير احتياطي الغاز الإسرائيلي) عن اتفاقية تجارية ضخمة لتصدير الغاز الإسرائيلي إلى مصر. وهذا الأمر ليس حكراً على مصر، إذ وُقعت من قبل إتفاقية مشابهة مع الأردن. لكن هذه الخطوات لم تلقَ ترحيباً من قِبَل قطاعات واسعة من الرأي العام المصري، مما يدل على الاختلاف ما

(١) <https://www.alukah.net/sharia/0/49530/%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B4%D8%A7%D8%B9%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%86%D9%88%D8%A7%D8%B9-%D9%88%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%83%D9%88%D9%86%D8%A7%D8%AA-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%86%D8%AA%D8%B4%D8%A7%D8%B1/>

(٢) العليمي سعيد، العرق اليهودي بين الأسطورة التاريخية والمنهج العلمي قناة الحوار المتمدن 23 / 2 / 2012

(٣) http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/Siasia2/Harb67-isr/sec03.doc_cvt.htm

بين الحكومات العربية من جهة وشعوبها من جهة أخرى، تلك الشعوب التي ترفض كل أنواع التطبيع مع الكيان الصهيوني، الذي لا يتركُ فرصة للضغط على الشعوب العربية نفسياً (وبكل الطُرُق) من خلال مُفدّراتها التي يُسيطر عليها يوماً بعد يوم.

فعلى المستوى الإقليمي ترى إسرائيل أنّ مشاريع الغاز ستربط "دول محور السلام" ببنية تحتية إقليمية مشتركة للغاز، مما يعزز عملية السلام التي تطمح لها إسرائيل، وبذلك يكون الكيان الصهيوني يستخدم سلاحاً جديداً هو الضغط النفسي من خلال عزفه على وتر الطاقة والاقتصاد لتحقيق مآربه في المنطقة^(١).

يقول غابي سيبوني: "إنّ إسرائيل تريد من معركة الوعي توجيه الخطاب المُباشر للجماهير في الدول والكيانات المُعادية..."^(٢). حيث تتّم هذه المعركة وفق سيبوني من خلال مجموعة متنوعة من العمليات العلنية والسرية التي يقوم بها الجيش الإسرائيلي^(٣)، مشيراً إلى أنّ الحرب على الوعي ليست جديدة، بل هي جزء من حروب العصور القديمة، فضرب الوعي والروح المعنوية، إنّما هو مقدمة استباقية للضربة العسكرية (أو أي تحرّك مُزمع إنفاذه) وبهذا يتداخل ويتكامل العمل الميداني مع عمليات الحرب النفسية الرامية إلى التأثير على عقل العدو وعزيمته^(٤).

فالكيان الإسرائيلي لا يألُ جهداً في استغلال العرب ومقدّراتهم، إمّا من خلال الضغط والحرب النفسية الإعلامية كما يتعامل مع لبنان وخاصّةً بعد اكتشاف ثروته من الغاز الطبيعي في مياها إقليمية، أو من خلال الدهاء السياسي الذي يحاول من خلاله تحقيق مكاسب اقتصادية على كاهل الشعوب العربية الواقعة تحت أسنان الأزمات السياسية الداخلية والاقتصادية.

فعلى سبيل المثال لا الحصر، كلنا نعرف السجال الإعلامي القائم بين الكيان الصهيوني ولبنان بحكومته من جهة دبلوماسية وحزب الله من جهة عسكرية، والأخذ والرّد بينهما وما يحتويه من تهديد ووعيد من كلا الطرفين، ومع ذلك فإنّ الباخرة الإسرائيلية FPSO التابعة لشركة ENERGEAN والتي ستعمل على سحب الغاز من حقل كاريش في المنطقة المُتنازع عليها بدأت بالتحرّك، والاستعدادات الإسرائيلية لاستكشاف الغاز جارية على قدم وساق^(٥). وهنا يشند استخدام إسرائيل للعمليات النفسية بردود معبرة عن لا مبالاتها بأي رد فعل عربي تجاه تعديّاته على مصادر الطاقة التي تعتبر تحت عنوان الحقوق المدنية والشرعية والاعتبارية، وهو بذلك يسعى لزعزعة ثقة الطرف الآخر بقدراته وإضعاف روحه المعنوية، وتعزيز فكرة أنّه الخصم الذي لا يُقهر، مُثبّتاً وجوده كأمر واقع لا مفرّ من الخضوع له أو التطبيع معه.

(١) العرب والغاز الإسرائيلي - تعزيز السلام أم تأجيج النزاع، dw.com، مقال بتاريخ ٢٧-٩-٢٠١٨.

(٢) خبير عسكري في معهد أبحاث الأمن القومي التابع لجامعة تل أبيب، والقائد السابق في لواء غولاني.

(٣) على سبيل المثال، بدئه التنقيب في حقل كاريش عن النفط والغاز الطبيعي، دون أي اعتبار للسيادة اللبنانية.

(٤) مرتضى إحسان، قضايا إقليمية، الحرب الإسرائيلية على الوعي العربي وتداعياتها، العدد ٤٠١، تشرين الثاني ٢٠١٨.

(٥) نبيل إسماعيل، إسرائيل توسّع تحركاتها في "كاريش"، جريدة النهار، ٦-٦-٢٠٢٢.

أصول قصة الكيان الإسرائيلي مع الغاز العربي صراع يمتد منذ زمن حيث قصدت شركة "سبكتروم" البريطانية سنة ١٩٩٦ المياه الإقليمية اللبنانية للتقيب عن النفط، لكنها غادرت (تحت الضغوطات والتهديدات الإسرائيلية) دون أن تعطي السلطات اللبنانية أي تقرير ميداني لما قامت به، وهذا سببه أن الكيان الصهيوني لا يُريد لأيّ دولة عربية مجاورة له أن تكون غنية وقادرة على بناء نفسها وفُذراتها الأمنية والعسكرية^(١).

٢- التطبيع مع الكيان الإسرائيلي

♦ تاريخ تطبيع العلاقات مع الكيان الإسرائيلي

من المعروف، بأنّ الحركة الصهيونية والكيان الصهيوني بكل مكوّناته قد ارتكب بحقّ الشعوب العربية جرائمًا لا تُعدّ ولا تُحصى، بلغت درجة الجرائم ضدّ الإنسانية، وقد قام الكيان الصهيوني بخطوة نحو الأمام عبر إيجاد أمر واقع جديد هو التطبيع.

كانت البداية للتطبيع مع معاهدة كامب ديفيد في ٢٦ آذار ١٩٧٩، في عهد الرئيس المصري أنور السادات. وفي ١٣ أيلول ١٩٩٣ وبعد ٦ أشهر من المفاوضات السرية في أوسلو، وقّعت منظمة التحرير الفلسطينية والكيان الإسرائيلي اتفاقيات حول الحكم الذاتي الفلسطيني في واشنطن بين ياسر عرفات وإسحاق رابين، حيث عاد ياسر عرفات بعدها إلى الأراضي المحتلة وأسس فيها السلطة الفلسطينية. وفي ٢٦ تشرين الأول ١٩٩٤ وقّع رئيس الوزراء الأردني عبد السلام المجالي مع رئيس الوزراء الإسرائيلي إسحاق رابين معاهدة سلام أنهت ٤٦ عامًا من حالة الحرب.

في ١٣ آب ٢٠٢٠، أعلن ترامب عن توقيع "اتفاق سلام تاريخي" بين إسرائيل والإمارات العربية المتحدة، توافق بموجبه الدولة العبرية على تعليق الضم المستمر للأراضي الفلسطينية، لكنّ رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتانياهو أكد أنّ الضم "أرجىء"^(٢) فقط. وفي ١١ أيلول من نفس العام، أعلن ترامب أنّ البحرين وإسرائيل ستقومان أيضًا بتطبيع العلاقات فيما بينهما^(٣).

نستذكر مقولة الخبير في الشأن الإسرائيلي ابراهيم أبو جابر في غمرة تسارع اتفاقيات التطبيع: "المستفيد الأكبر من عملية التطبيع مع الدول العربية سيكون الطرف الإسرائيلي، لأنّ دول الخليج (الغنية أساسًا) لا تحتاج للاستثمارات الإسرائيلية". ودليل ذلك ما قاله دوي أميتاي رئيس قطاع الأعمال في إسرائيل لصحيفة كلكتيست الاقتصادية الإسرائيلية بأنّ حجم التبادل التجاري مع الإمارات (وحدها) سيصل إلى عدّة مليارات دولار في العام الواحد^(٤).

(١) لبنان - إسرائيل: حرب الغاز والنفط، ٨-٨-٢٠١١، مؤتريد رقم العدسة الفكر العربي.

(٢) <https://www.alestiklal.net/ar/print/10421/C7>

(٣) من قيام الدولة العبرية إلى التطبيع مع الإمارات والبحرين، موقع France 24، ١٣-٩-٢٠٢٠. <https://www.france24.com/ar/20200913>

(٤) ريمون ميشال هنود، جريدة اللواء، مكاسب إسرائيل من التطبيع مع الدول العربية، ٢٩-١٠-٢٠٢٠. <https://aliwaa.com.lb>

♦ ماذا يعني التطبيع؟

هو بناء علاقات رسمية وغير رسمية، سياسية، اقتصادية، ثقافية، علمية وغيرها... مع الكيان الصهيوني، وهذا الأمر هو تسليم للكيان الصهيوني بأن له حقاً في الأرض العربية بفلسطين المحتلة، وبهذه الطريقة يكون التطبيع استسلاماً وتنازلاً عن حقوقنا المقدّسة للعدو المغتصب.

فإذا استعرضنا مراحل الصراع العربي الصهيوني، نجد أنّ الكيان الصهيوني هو الذي أصرّ على تطبيع علاقاته مع العرب، ولأنّهُ هو الطرف الأقوى في المعادلة فقد حاول الكيان الصهيوني تطويع العرب بشتّى الوسائل، فألحق بهم الهزائم المتكررة حتى باتوا غير قادرين على متابعة ما كانوا يدعون إليه من تحرير للأرض العربية^(١).

وهنا تحضرنا مقولة وزير الأمن الصهيوني السابق موشي ديان حينما سئل عن الطريقة التي سيُشَنُّ بها الحرب على الدول العربية في العام ١٩٦٧، قال: "بالطريقة نفسها التي شن بها عدوان ١٩٥٦ على مصر، لأنّ العرب لا يقرّون، ولا يفهمون، وإذا فهموا لا يطبقون".^(٢)

ومما تجدر الإشارة إليه، أنّه بعد حرب الخليج الثانية التي أعقبت غزو العراق للكويت، أطلق جورج بوش الأب "عملية السلام"، وفق مبدأ "الأرض مقابل السلام"، والتي أكملها بيل كلينتون، بتوقيع اتفاق بين منظمة التحرير الفلسطينية والكيان الصهيوني عام ١٩٩٢، والذي في حقيقته لم يخدم سوى أمن الكيان الصهيوني لمنع العمليات الفدائية التي كان يقوم بها الفدائيون الفلسطينيون ضده.

حقيقة الأمر، واستقراءً للتاريخ، يتبين لنا أنّه كلّما وقّع الكيان الإسرائيلي اتفاقاً مع إحدى الدول العربية، تقدّم لها التبريرات نفسها. كما يقوم هذا بتصعيد أعماله العدوانية على الدول المجاورة أو في داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة، مع ما يستتبع ذلك من قتل وتهجير للشعب الفلسطيني. كما أنّ سعيه للسلام قناعاً أمام الرأي العام الدولي لتحقيق مكتسبات خاصة له وحده.

فالهدف الرئيسي للكيان الإسرائيلي من خلال سعيه الدؤوب للتطبيع الذي يركز على مبدأ "السلام مقابل السلام" وليس "السلام مقابل الأرض"، من أجل إنهاء القضية الفلسطينية للأبد، من دون منح الفلسطينيين شيئاً من حقوقهم، وهذه العقيدة راسخة لدى كل الحكومات الصهيونية، التي تعاقبت على الحكم فيما يُسمّى "إسرائيل"^(٣).

ومن المهم القول بأنّ الكيان قد استغلّ الأزمات التي عصفت بالمنطقة العربية وتردّي الأوضاع الإقتصادية والأمنية والاجتماعية في الكثير منها، للتغلغل في المجتمعات العربية من خلال حتّى الدعاية والفن، ومما

(١) عدوان عدنان عدوان، مهزلة التطبيع ما بعد الربيع العربي، جريدة الوحدة الإسلامية، العدد ١٧٢، ٢٠١٦.

(٢) نقول نسب إلى وزير الدفاع الإسرائيلي "موشى ديان"

(٣) البوهالي خالد، متى نستفيد من دروس التطبيع مع العدو الصهيوني؟، الميادين، ٣ حزيران ٢٠٢٢.

ساعده على ذلك هو أنّ معظم الأنظمة العربية أسقطت من قاموسها العداة للصهيونية، وروّجت للسرديات التي تخدم التطبيع. وقد ساهمت بذلك كبريات القنوات التلفزيونية العربية، وعلى الصعيد اللبناني نذكر عرض فيلم the secrets keep الذي يُعرض الآن في عدّة دور عرض لبنانية^(١)، وهو للمخرج الإسرائيلي Yuval Adler، وهذا يعدُّ خرقاً لقوانين التطبيع مع الكيان الإسرائيلي في لبنان^(٢).

○ ثالثاً: مواجهة العمليات النفسية للكيان

• الحرب العربية النفسية بمواجهة "الكيان الصهيوني"

سُمّيت الحرب النفسية بهذا الاسم لأنها تتوجّه إلى الجانب النفسي في شخصية الإنسان، ومن ثمّ إلى الجانب العقلي من أجل كسب القلوب والعقول لدى العدو وبالتالي السيطرة على المدنيين والعسكريين لدى الجانب المُقابل^(٣). والحرب النفسية هي الاستخدام المُخطّط للدعاية والأساليب النفسية، وذلك بقصد التأثير على آراء الجماعات الأجنبية المعادية، وعواطفها واتجاهاتها وسلوكها من أجل تحقيق أهداف وطنية^(٤). في خِصَم الصِّراع المفتوح بين العرب وإسرائيل، والذي باتت حدّته تتراجع مع تهافت العرب للتطبيع، إلّا أنّهُ ما زال هناك بعض الجبهات التي تحاول الصمود في وجه إسرائيل، حيث تتداخل جميع استراتيجيات الحروب، من عسكرية واقتصادية وإعلامية ونفسية، على سبيل المثال، كيف استطاع لبنان ببعض المواقف التفوّق على إسرائيل في العمليات النفسية؟

عمل لبنان على أن يرد بشكل دائم على أي اعتداء إسرائيلي عليه، لأنّ عدم الردّ برأيه سيؤدي إلى رفع معنويات الجيش الإسرائيلي باعتباره عند ذلك المُبارد والمُتحكّم بقواعد الإشتياك في هذا الصِّراع، وهذا جزء من الحرب النفسية، فيُصمّم أيضاً أحد مكوناته الحزبية، بالتنسيق مع مواقف الحكومة اللبنانية بشكل مباشر أو غير مباشر، دوماً على أن لا تكون إسرائيل هي المُبادرة دوماً، وأن تكون في موضع ردّ فعل، حتى تظهر نقاط ضعفها، فهو لا يرد على اعتداءاتها بسرعة فورية، بل يفضّل أن يجعلها تنتظر حتى يرهقها ذهنياً ويوتّرها عصبياً، وبذلك يطبّق الحزب مقولة: "انتظار الحرب أصعب من الحرب نفسها"، حتّى يذلّ إسرائيل نفسياً. إذ يهدف لبنان من خلال استراتيجيته النفسية في مواجهة إسرائيل إلى جعلها مهزومة من الداخل، والتأثير سلّماً في وعي الشعب الإسرائيلي، عبر بثّ الشكّ في تحقيق النُصر داخل أدمغة الإسرائيليين وعقولهم^(٥).

(1) CineMall, vox, Cinema city...

(2) علي مطر، العدو وغرس التطبيع، موقع الغهد الإخباري.

(3) أبو عرقوب، الدعاية في السلم والحرب، المنارة، المجلد ١٣، العدد ٥، ص ١٦.

(4) United States of America, John F. Kennedy Special Warfare Center, Glossary of Military Terms for Allied Students , Allied Division , Fort Brag , North Carolina , 1983 , P.15.

(5) أحمد الزهاوي، كيف تفوّق حزب الله على "إسرائيل" في الحرب النفسية؟، almayadeen.net، ٧ آب ٢٠٢٠.

أما على صعيد الدّاخل الفلسطيني، فإنّ المقاومة الفلسطينية في غزة باتت تستخدم ضد الاحتلال الإسرائيلي وسائل متنوعة وجديدة من الناحيتين الأمنية والعسكرية، والتي كان لها بالغ الأثر في إرهاب وإرهاق العدو وزعزعة ثقته بنفسه وبقادته، ومن أهم هذه الوسائل، إرسال رسائل لهواتف الجنود الإسرائيليين، واختراق الإذاعات والفضائيات الإسرائيلية، وذلك بهدف كسر إرادة الاحتلال، وتحطيم روحه المعنوية، واستخدام التكنولوجيا المتطورة في إدارة الحرب، حيث ابتكرت المقاومة أساليب ووسائل حديثة ليس للعدو سابقة معرفة بها، كالضفادع البشرية، ونقطة الصفر، والأناشيد الوطنية الموجهة.

كما أنّ المصادقية العالية للإعلام المقاوم للاحتلال، كان لها الأثر الإيجابي الكبير في نفوس الشعب الفلسطيني، وثقة الشعب بالمقاومة، مساعدتها والإلتفاف حولها، لدرجة أنّ جمهور الاحتلال الإسرائيلي نفسه أصبح يتابع قنوات المقاومة الفضائية والإذاعات الفلسطينية لما لها من مصداقية، وهذا دليل على مدى نجاح المقاومة في التأثير النفسي الكبير في الشعب الإسرائيلي وقياداته.

وبالعودة إلى التاريخ قليلاً ففي معركة الكرامة بتاريخ ٢١-٣-١٩٦٨ حيث قامت قوات الجيش الإسرائيلي بشنّ حملة عسكرية على كل الغور الأردني ضد القوات الأردنية وقاعدة لمنظمة فتح الفلسطينية. لكن سرعان ما انهار هذا الهجوم معنوياً وعسكرياً وطلب الجيش الإسرائيلي وقف إطلاق النار لأول مرة حينها في تاريخ صراعه مع المحيط العربي، هذا المحيط الذي وإن سلمت بعض حكوماته بأمر التطبيع إلا أنه شعبياً ما زلنا نرى العداء العربي لإسرائيل بشكل واضح يتجلى من خلال عدة مواقف: لاعبين عرب يرفضون المواجهة مع اللاعب الإسرائيلي في مسابقات عالمية، مقاطعة المنتجات والمؤسسات ذات الأصل الإسرائيلي وغيرها.

ومن أهم الأسباب التي أدت إلى الهزيمة النفسية لدى جيش الاحتلال الإسرائيلي نذكر ما يلي:

- ١- الإعداد المعنوي والمادي المسبق من قبل الجيش الأردني والفدائيين الفلسطينيين.
- ٢- التنسيق والتعاون المسبق بين مقاتلي الجيش الأردني والفدائيين الفلسطينيين.
- ٣- وحدة الصف بين الضباط والجنود والمدنيين والمقاتلين الفلسطينيين الذين التحموا مع العدو بالسلاح الأبيض في بلدة الكرامة.

٤- تردي معنويات جيش العدو الصهيوني نتيجة للخسائر المادية الجسيمة في المعدات والأرواح^(١).

• أسس نجاح وتعزيز العمليات النفسية المجابهة

إنّ التحضير للعمليات النفسية لا يتم عبر طريق الفطرة بل يجب التحضير له كونه علم عملائي بحد ذاته، يلزمه بناء هيكلية متكاملة من المتخصصين من مختلف المجالات التكتية والعمالية والنفسية والإلكترونية. وتعتمد الدول المتطورة على أفواج موجودة بالجيش للقيام بهذه العمليات النفسية وذلك بالتنسيق مع الجهات المدنية والعسكرية إذ أنّ أهم ما تتطلبه هذه العمليات هي المعلومات والتخصصات المطلوبة في نطاق إنشاء وتوجيه العمليات النفسية. إلا أنّ أهم مبادئ عملية التخطيط للحرب النفسية المضادة هي:

(١) أبو نوار، معركة الكرامة، مديرية التوجيه المعنوي، ص ٢٧٦-٢٧٨.

- التركيز على هدف وعدو واحد، والعمل في هذا الإطار والحشد في سبيل مواجهته.
- إيقاف الفيضان النفسي القادم من العدو، وذلك عبر تعزيز الروح المعنوية للشعب.
- التدعيم المستمر والدائم لعمليات المُجابهة وعدم توقفها^(١).
- استقطاب متخصصين قادرين على تحليل المعلومات القادمة من العمليات النفسية للعدو^(٢).
- الاهتمام بالإعلام والبروجندا المُجابهة لتلك التي يستخدمها العدو عبر خطة إعلامية مُتكاملة يقوم عليها أهل التخصص والخبرة ويكون عملهم الرد على العمليات النفسية من العدو (Counter propaganda) والانتقال لبث عمليات أخرى (propaganda).
- وضع الميزانيات المالية التي قد تفوق الميزانيات العسكرية، لأن جميع الدراسات والمصادر أكدت بشكل أو بآخر أنَّ النجاح بالحرب النفسية قد يكون السبب الأول في النجاح العسكري.

○ الخاتمة:

بعد كل ما تقدم، يبرز لنا مدى أهمية العمليات النفسية لتحقيق انتصارات قد تسبق الانتصارات العسكرية على الأرض أو حتى الإستغناء عن العمل العسكري في معظم الأحيان، حتى قبل التطور التكنولوجي برزت العمليات النفسية ونجحت في تحقيق أهداف سياسات الدول دون اللجوء الى المواجهة الميدانية العسكرية. أما بالنسبة للكيان الصهيوني الذي حقق انتصارات واجتياحات ناجحة سبقها أسطول إعلامي يدعمه تخصصيون مرتكز على الأساطير والإشاعات والبروجندا، والتي سهلت له طريق نجاحه العسكري في تأمين وطن لشعبه محمي بغطاء دولي متعاطف مع قضيته.

إلا أنَّ الكيان الصهيوني أخطأ عندما اعتمد على أسطورة الجيش الذي لا يقهر، وتخلّى عن الإثارة العاطفية التي كان يستخدمها في إثارة الرأي العام الدولي كدولة صغيرة تريد أن تؤمّن ملجأً لشعبها المتناثر في العالم وسط دول عربية حاقدة ومهددة لكيانه، فقام باستخدام ترسانته العسكرية المتوحشة والتي لاحقاً هُزمت في مواجهة المقاومة داخل فلسطين المحتلة والمقاومة في لبنان. وهذا ما دفع قادة الكيان من مراجعة حساباتها باستخدام التهديد بالحرب دون اللجوء إليها واستخدام الإمتزاج محيطها (التطبيع) لكسب تأييد حكامها في مواجهة مقاومة شعوبها.

إلا أن ذلك لا يعني أن الدول المعادية لها من عربية ودولية لم تحاول استخدام عملياتها النفسية الخاصة لمجابهة الكيان الاسرائيلي في عدة جبهات وإن لم تتجح جميعها سابقاً، إلا أن المقاومة لهذا الكيان في جميع دول المحيط استخدمت العمليات النفسية على الصعيد الفردي والجماعي كأحزاب أو على الصعيد الدولي مع

(١) عمر جباد علي، الدعاية و الحرب النفسية - المرحلة الرابعة،

<https://www.uoanbar.edu.iq/eStoreImages/Bank/5087.pdf>

(٢) نفس المصدر السابق

العلم أن الأخير لم يُقْم بهذه العمليات النفسية بشكل منظم عبر إنشاء وحدات خاصة بالعمليات النفسية وظيفتها نشر هذه العمليات مع العدو والصديق إذ أن العمليات النفسية بمفهومها لا يقتصر على العدو لتحقّق انتصارات ضده، بل يتعداه إلى الصديق لضمان كسب تأييده ومساعدته في جميع المحافل والاستحقاقات الدولية.

• توصيات ومقترحات:

ما تقدم من هذا البحث، يفرض علينا توصيات ومقترحات تهدف إلى تنظيم الصفوف في مختلف الدول المحيطة بدولة فلسطين حتى نستطيع مواجهة الحرب الجديدة التي يقوم بها الكيان الصهيوني وذلك لمنع نواياه في تحقيق أهدافها. وهذه التوصيات تتمحور حول الركائز الأساسية التالية:

١- تأسيس لجان متخصصة من علماء نفس وسياسيين وإعلاميين يشرفون على عملية التخطيط والتنفيذ للعمليات النفسية.

٢- التدريب والتأهيل التقني لجميع الفعاليات المشاركة في العمليات النفسية.

٣- ضمان استمرارية العمليات النفسية في وقت السلم والحرب عبر أدوات إعلامية وتقنية.

٤- تدعيم المناهج المدرسية والجامعية لتعزيز المواطنة والمناعة الفكرية خاصة لدى فئة الشباب ما يجعلهم أقل تأثراً بالحرب النفسية.

٥- مراقبة ومتابعة لجميع الأعمال الإعلامية التي تقدم من حيث المضمون والتوجه.

٦- تعزيز الفعاليات التي تبتث وترفع الروح المعنوية للشعب عامة عبر ربطه بالتقاليد والعادات والوطن والثقافة.

٧- وضع استراتيجية دفاعية نفسية للفئات المستهدفة داخل وخارج الدول العربية من قبل العدو وذلك لسد الثغرات التي يُمكن أن يستثمرها في تحقيق أهدافه.

٨- العمل من خلال العمليات النفسية على إثارة الرأي العام الدولي للقضايا التي من خلالها نستطيع ضمان أمن دولنا وإحباط مخططات العدو.

وهذه التوصيات والمقترحات لا يمكن تنفيذها إلا بعد أن توضع استراتيجية أهداف موحدة في مواجهة خطط وسياسات الكيان الصهيوني. ويعود ذلك لأن العمليات النفسية هي كل متكامل لا يمكن أن ينجح إلا وفق دراسة علمية من قبل مجموعة متخصصة بمختلف التخصصات فهي عمل جماعي وليس عمل فردي أحادي الجانب.